سطور من رسالة

إلى الإخوة الأحبة في الشام(*)

الأخ عصام العطار

تطـــاوَلَ ليلـــي والـــسُّهادُ مرافِقـــي ... ومـــا أَطـــولَ الليـــلَ البـــهيمَ لآرِقِ
غريـــبٌ يُقلِّبُـــه الحـــنينُ علـــى الغَـــضى ... ويُرْمِـــضُه شـــوقاً إلى كـــلّ شـــائقِ
تنـــاءت بـــه دارٌ وأوحـــشَ منـــزلٌ ... وظلَّلَـــه هـــمٌّ مديـــدُ الـــسُّرادِقِ
وألقتـــه أحـــداثٌ علـــى غـــارِبِ النّـــوى ... فيـــا ليـــتَ شِـــعْري هـــلْ معـــادٌ لتـــائقِ ؟!
تَمُـــرُّ بـــه الأيـــامُ جُرْحـــاً وأَسْـــهُماً ... وصـــبراً تحـــدّى كِبْـــرُهُ كـــلَّ راشِـــقِ
وشـــعلةَ إيمـــانٍ يزيـــدُ اتّقادُهـــا ... علـــى عَـــصَفاتِ الـــدهرِ عنـــدَ المـــآزِقِ

أحِبّـــايَ يـــا مهـــوى الفـــؤادِ تحيّـــةً ... تجـــوزُ إلـــيكمْ كـــلَّ ســـدٍّ وعـــائِقِ
لقـــد هـــدّني شـــوقٌ إلـــيكمْ مُبَـــرِّحٌ ... وقَـــرّحَ جفـــني دافـــقٌ بعـــدَ دافِـــقِ
وأرّقـــني في الْمُظْلِمـــاتِ علـــيكمُ ... تكالـــبُ أعـــداءٍ سَـــعَوْا بـــالبوائق(١)
فمنـــهمْ عـــدوٌّ كاشِـــرٌ عـــن عِدائـــه ... ومنـــهمْ عـــدوٌّ في ثيـــابِ الأصـــادقِ
ومنـــهمْ قريـــبٌ أعظـــمُ الخطْـــب قُرْبُـــهُ ... لـــهُ فـــيكمُ فِعْـــلُ العـــدوِّ المفـــارِقِ
أردتمْ رضـــا الـــرحمنِ قلْبـــاً وقالَبـــاً ... ولم يَطْلبـــوا إلاّ حقـــيرَ الـــدوانِقِ
فـــسدَّدَ في دربِ الجهـــادِ خطـــاكمُ ... وجنّـــبكُمْ فيـــه خَفِـــيَّ المزالِـــقِ

بروحـــي شـــبابٌ مـــنكُمُ غيّـــبَ الثّـــرى ... تهـــاوَوْا كِرامـــاً صـــادِقاً إثْـــرَ صـــادِقِ
بروحـــي الـــدّمُ الْمُهْـــراقُ في ســـاحةِ التّقـــى ... يلـــوِّنُ دربَ الحـــقِّ لَـــوْنَ الـــشقائقِ
بروحـــيَ ذاكَ الطُّهْـــرُ والعلـــمُ والنُّهـــى ... بروحـــيَ ذاكَ العـــزمُ في كـــلِّ ســـابِقِ
بروحـــيَ أُسْـــدٌ كبَّـــل البغـــيُ خَطْوهـــا ... وأَوْسَـــعَها عَـــسْفاً بكـــلّ المرافِـــقِ

فلم يرَ فيها غيرَ أَصْيَدَ صابرٍ ... ولم يرَ فيها غيرَ أَرْعَنَ[٢] شاهِقِ
وغيرَ أَبِيٍّ باعَ في اللهِ نفسَهُ ... وأرْخَصَها في المأزِقِ الْمُتَضايِقِ
وقفتُ شَجِيّاً لا أرى لِيَ مَخْلَصاً ... إليكمْ وقدْ سُدَّتْ عليَّ طرائقي
تمنّيتُ أَنِي أفتديكمْ بمهجتي ... وأحملُ ما حُمِّلْتُمُ فوقَ عاتِقي
على مُنْقَذٍ[٣] مني السلامُ وصَحْبِهِ ... وعَلَّ فراقاً لا يطولُ لِوامِقِ

شبابٌ كما الإسلامُ يَرضى خَلائِقاً ... وديناً ووعْياً في اسودادِ المفارِقِ
قلوبُهُمُ طُهرٌ يَفيضُ على الورى ... وأيديهمُ تأسوا جراحَ الخوافِقِ
هم السّلْسَلُ الصافي على كلِّ مؤمنٍ ... وفي حومةِ الهيجاءِ نارُ الصواعِقِ
أطلّوا على الدنيا كواكبَ تهتدي ... بنورِهمُ عندَ اشتباهِ المفارِقِ
وسادوا عليها مخلصينَ لربّهمْ ... فلمْ يحملوا أغلالَها في العواتِقِ
سبيلُهمُ ما أوضحَ اللهُ نهجَهُ ... إذا حادَ عنهُ كلُّ وانٍ وفاسِقِ
فلم يَرهبوا في اللهِ لومةَ لائمٍ ... ولمْ يحذَروا في اللهِ غضبةَ مارِقِ
ولم يُطْبِهِمْ[٤] يوماً ثوابُ مُساوِمٍ ... ولمْ يُصْبِهِمْ يوماً ثناءُ منافِقِ
همُ الذهبُ الإبريزُ سِرّاً ومَظْهَراً ... جباهُهُمُ بيضٌ بياضَ الحقائقِ
همُ الْحُلُمُ الريّانُ في وَقْدَةِ الظَّما ... وليسَ على الآفاقِ طيفٌ لبارِقِ
همُ الأملُ المرجوُّ إنْ خابَ مَأْمَلٌ ... وأَوْهنَ بُعْدُ الشّوْطِ صَبْرَ السوابقِ
كأني أراهمْ والدُّنا ليستِ الدُّنا ... صلاحاً ونورُ اللهِ مِلْءُ الْمَشارِقِ
أقاموا عمودَ الدينِ منْ بعدِ صَدْعِهِ ... وأعلَوْا لواءَ الحقِّ فوقَ الخلائقِ

على البعدِ يا أحبابُ أهفو إليكمُ ... خيالُكُمُ أَنِّي سَريْتُ مُعانقي
أقاموا سدودَ الظُّلْمِ بيني وبينَكُمْ ... وما نقَموا إلاّ يقيني بخالِقي
فَبِتُّ على لبنانَ قلْباً معذَّباً ... أُكابِدُ في الأضلاعِ جَمْرَ الحرائقِ
فلا راحةٌ حتى ولو لانَ مَضْجَعٌ ... ولا رَوْحَ حتّى في ظلالِ البواسِقِ

أُلامِـــحُ مـــنْ خلْـــفِ الحـــدودِ منـــازلاً ... تلـــوحُ كمـــا لاحَ الـــشّراعُ لغـــارِقِ
تَمَنَّيْـــتُ حتّـــى ضَـــجْعَةَ الـــسجنِ بيـــنَكُمْ ... علـــى الـــصّخرِ في جـــوِّ مـــنَ الجـــوْرِ خـــانقِ
صـــلابةُ أرضِ الـــسجنِ إن كـــانَ قـــربَكُمْ ... أحـــبُّ وأشـــهى مـــنْ طَـــرِيِّ النّمـــارِقِ
ولم تـــرَ وجهـــي عنـــد نَعـــشِكَ مـــصطفى(٥) ... وذلـــكَ جـــرحٌ لا يغـــورُ بخـــافِقي
مكانُـــكَ في قلـــبي الـــوفيِّ موطَّـــدٌ ... فأنـــتَ علـــى طـــولِ الزمـــانِ مرافِقـــي

أحبّـــايَ صَـــبْراً للفـــراقِ ومـــا رمـــتْ ... بـــهِ غـــالِيَ الأكبـــادِ أَيـــدي الطـــوارِقِ
أحبّـــايَ إنّ النـــصرَ لا بـــدَّ قـــادمٌ ... وإِني بنـــــصرِ اللهِ أوَّلُ واثِـــــقِ
سَنَـــصْدَعُ هـــذا الليـــلَ يومـــاً ونلتقـــي ... مـــعَ الفجـــرِ يمحـــو كـــلَّ داجٍ وغاسِـــقِ
ونمـــضي علـــى الأيـــام عزمـــاً مُـــسَدَّداً ... ونبلـــغُ مـــا نرجـــوهُ رغـــمَ العوائـــقِ
فيعلـــو بنـــا حـــقٌّ –عَلَوْنـــا بفـــضلِهِ– ... علـــى باطـــلٍ –رغـــم الظـــواهرِ– زاهِـــقِ
ونـــصنعُ بالإســـلامِ دُنْيـــا كريمـــةً ... ونَنْـــشُرُ نـــورَ اللهِ في كـــلِّ شـــارِقِ

(*) نُشِرت هذه السطور من الرسالة في مجلة (المجتمع) اللبنانية سنة ١٩٦٤م ، أما الرسالة كاملة فمما لم تمكِّن مـن نقلـه إلى القـراء ظروف (المجتمع) في ذلك الحين ، وما ذهبت به مع غيره الأيام .

(١) بالبوائق : بالدواهي والغوائل والظلم والشر .

(٢) الأرعن : الجبل ذو الرِّعان ، أي الأنوف العِظام الشاخصة .

(٣) من شهداء الدعوة الإسلاميّة في سورية سنة ١٩٦٤م .

(٤) لم يطبهم هنا : الإسلام يستَمِلْهُم ويَقُدْهم .

(٥) هو الدكتور مصطفى السباعي رحمه الله تعالى .. وقد منعت السلطات السورية الأخ عصام العطـار مـن دخـول الـبلاد للمشاركة في تشييع جثمانه وأغلقت في وجهه الحدود .